ذكر عند اليهود١. وإنما مُنح سعد – رضوان الله عليه – هذا السيف على سبيل الجائزة والتكريم، فقد كان يطعم الجيش الإسلامي في غزو النضير، وهو صاحب القبة الخشبية، التي جُعلت مقرًا متحركًا لرصد تحركات العدو .

وَكَانَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهّ وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا بِالشّام لَمْ يَشْهَدَا بَدْرًا فَقَسَمَ لَهُمَا رَسُولُ اللهّ ﷺ سَهْمَيْهِمَا فَقَالَا : وَأُجُورُنَا يَا رَسُولَ اللهّ ؟ فَقَالَ " وَأُجُورُكُمَا " . كما أَنّ أَبَا لُبَابَةَ وَالْحَارِثَ بْنَ حَاطِبٍ وَعَاصِمَ بْنَ عَدِيّ خَرَجُوا مَعَ رَسُولِ اللهّ ﷺ فَرَدّهُمْ وَأَمّرَ أَبَا لُبَابَةَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَابْنَ أُمّ مَكْتُومٍ عَلَى الصّلَاةِ وَأَسْهَمَ لَهُمْ .. وَخَوّاتَ بْنُ جُبَيْرٍ ضَرَبَ لَهُ رَسُولُ اللهّ ﷺ بِسَهْمِهِ . كما أَنّ عُثْمَانَ بْنَ عَفّانَ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ تَخَلّفَ عَلَى امْرَأَتِهِ رُقَيّةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهّ ﷺ فَضَرَبَ لَهُ بِسَهْمِهِ فَقَالَ وَأَجْرِي يَا رَسُولَ اللهّ ؟ قَالَ : "وَأَجْرُكَ"٢

وَهَذَا خَاصّ لِلنّبِيّ – ﷺ – فقد أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ أَنْ لَا يُقْسَمَ لِغَائِبٍ، وقَالَ أَحْمَدُ وَمَالِكٌ وابن القيم وَجَمَاعَةٌ مِنْ السّلَفِ وَالْخَلَفِ: إنّ الْإِمَامَ إذَا بَعَثَ أَحَدًا فِي مَصَالِحِ الْجَيْشِ فَلَهُ سَهْمُهُ٣ .

وقَالَ ابْنُ حَبِيبٍ :وَلَمْ يَكُنْ النّبِيّ ﷺ يُسْهِمُ لِلنّسَاءِ وَالصّبْيَانِ وَالْعَبِيدِ وَلَكِنْ كَانَ يَحْذِيهِمْ مِنْ الْغَنِيمَةِ٤

الفصل السابع
غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ
شَوّالٍ ٥هـ - فبراير ٦٢٧ م

١ الصالحي ٤ / ٣٢٥
٢ ابن القيم : زاد المعاد ٥ / ٦٣
٣ ابن القيم : زاد المعاد ٥ / ٦٣
٤ ابن القيم : زاد المعاد ٥ / ٦٣

المبحث الأول
ملخص الغزوة

لما تم إجلاء بني النضير، خرج وفد يهودي إلى مكة يدعون قريشًا ويحرضونها على قتال الرسول ﷺ، فأجابت قريش لذلك، ثم تحرك الوفد اليهودي في جولة دبلوماسية بين قبائل العرب، فستجابت غطفان، وبنو فزارة وبنو مرة، وأشجع واتجهت جيوش الأحزاب نحو المدينة، فلما سمع النبي ﷺ بخروجهم، استشار أصحابه فأشار عليه سلمان بحفر خندق حول المدينة، فأمر رسول الله ﷺ بحفره وعمل فيه بنفسه، ولما وصلت قريش ومن معها من الأحزاب راعها ما رأت من أمر الخندق، إذ لا عهد للعرب بمثله، وكانت عدتهم عشرة آلاف، وعدة المسلمين ثلاثة آلاف، وكان حُيي بن أخطب أحد اليهود الذين هيجوا قريشا والأحزاب ضد المسلمين، وقد ذهب إلى كعب بن أسد سيد بني قريظة يطلب إليه نقض العهد مع المسلمين، وفكر النبي ﷺ في مصالحة بني قريظة على ثلث ثمار المدينة، ولكن الأنصار رفضوا اعتزازا بدينهم من أن يعطوا الدنية لهؤلاء الخائنين، وبدأ القتال واشتد الحصار، حتى أسلم نعيم بن مسعود أحد زعماء غطفان، فخذل عن المسلمين، حتى فرق بين قريش وحلفائها، وبين بني قريظة، وأوقع في نفوس كل من الفريقين الشك في الآخر، وأرسل الله على الأحزاب ريحًا شديدة، فجعلت تكفئ قدورهم وتمزق خيامهم، فامتلأت نفوس الأحزاب بالرعب ورحلوا . وتوجه المسلمون إلى ديار بني قريظة ، وفرض المسلمون الحصار على بني قريظة، فلما ضاق بهم الأمر نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فحكم فيهم سعد بن معاذ سيد الأوس، فحكم سعد بأن تقتل مقاتلتهم، وأن تسبى ذراريهم، وأن تقسم أموالهم١ .

المبحث الثاني
آداب الحروب

المطلب الأول : تحرك التحالف اليهودي الوثني ضد الدولة الإسلامية

أولاً : دور اليهود في بناء هذا التحالف :

١ انظر في تفاصيل هذه الغزوة : الواقدي ٣٦٢، ابن هشام ٣: ٢٢٦، ابن سعد ٢ / ١ : ٤٧، الطبري ٣: ٤٣، والبلاذري : أنساب الأشراف ١/ ١٦٥، ابن سيد الناس ٢/ ٥٤، ابن القيم : زاد المعاد ٢: ٢٨٨،المقريزي: ٢١٥ ، وانظر: مصطفى السباعي ٦٣

خرج وفد مِنْ الْيَهُودِ، يجوب الجزيرة العربية، لـتكوين تحالف يهودي وثنـي للقـضاء على الإسلام، والدولة الإسلامية واحتلال المدينة ونهب خيراتهـا، وكـان عـلى رأس هـذا الوفد القيادات اليهودية الآتية:

١-سَلّامُ بْنُ أَبِي الْحُقَيقِ النّضْرِيّ

٢-حُيَيّ بْنُ أَخْطَبَ النّضْرِيّ

٣-كِنَانَةُ بْنُ أَبِي الْحُقَيقِ النّضْرِيّ

٤- هَوْذَةُ بْنُ قَيْسٍ الْوَائِلِيّ

٥- أَبُو عَمّارٍ الْوَائِلِيّ١ .

٦-وَسَلَامِ بْنِ مِشْكَمٍ٢

خَرَجُوا حَتّى قَدِمُوا عَلَى قُرَيْشٍ مَكّةَ ، فَدَعَوْهُمْ إلَى حَرْبِ رَسُولِ اللهّ ﷺوَقَـالُوا : إنّـا سَنكُونُ مَعَكُمْ عَلَيْهِ حَتّى نَسْتَأْصِلَهُ ، فَقَالَتْ لَهُمْ قُرَيْشٌ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ إنّكُمْ أَهْـلُ الْكِتَـابِ الْأَوّلِ وَالْعِلْمِ بِمَا أَصْبَحْنَا نَخْتَلِفُ فِيهِ نَحْنُ وَمُحَمّدٌ، أَفَدِينُنَا خَيْرٌ أَمْ دِينُهُ ؟ قَالُوا : بَلْ دِيـنُكُمْ خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ وَأَنْتُمْ أَوْلَى بِالْحَقّ..!! فَهُمْ الّذِينَ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِيهِمْ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلّذِينَ كَفَـرُوا هَـؤُلَاءِ أَهْـدَى مِـنَ الّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا أُولَئِكَ الّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾[النـساء:٥١] ..٣

ثُمّ خَرَجَ الوفد اليهودي إلَى غَطَفَانَ فَدَعَوْهُمْ فَاسْتَجَابُوا لَهُمْ ثُمّ طَاف الوفد فِي قَبَائِـلِ الْعَرَبِ يَدْعُونَهُمْ إلَى ذَلِكَ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ مَنْ اسْتَجَابَ٤.

ونجح اليهود في تكوين أقوى تحالف ضد المسلمين .

ولم من ثم شرعوا في تنفيذ مخطط الإبادة للمسلمين .

وهو تحرك – دون أدنى شك – يكشف عن أكبر مآمرة تحاك من حليف ضد حليفـه، نرى في هذا المشهد كيف يتحول الفصيل إلى جماعة مـن البغـاة، تعمـل عـلى شـق الـصف

---

١ ابن هشام - ٢ / ٢١٤

٢ ابن القيم: زاد المعاد - ٣ / ٢٤٠

٣ ابن هشام ٢ / ٢١٤

٤ ابن القيم : زاد المعاد ٣ / ٢٤٠

الداخلي، والتجسس على الدولة الإسلامية، والتخابر لصالح دولة العدو، والشروع في تأسيس تحالف سري غير شرعي مع قريش.

الأمر الذي ترفضه كل الشرائع والأعراف من سلوك هذا المنحى الأسود .

ثانيًا : تحرك جيش التحالف صوب الدولة الإسلامية :

خرجت جيوش الأحزاب وقد جمعت أمرها على إفناء المسلمين، وكان هذا الجيش يتألف من الفصائل الآتية :

١-جيش قريش، تحت قيادة أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ: (٤٠٠٠ جندي) .

٢-جيش غَطَفَانُ ، بقيادة عُيَيْنَة بْنُ حِصْنٍ ، وفِيهم بَنِي فَزَارَةَ

٣- جيش بَنِي مُرّةَ، ، بقيادة الْحَارِث بْنُ عَوْفِ (٤٠٠ جندي)، وهي من بني غطفان.

٤ - جيش أَشْجَعَ ، بقيادة مِسْعَر بْنُ رُخَيْلَةَ[1] (٤٠٠ جندي).

٥- جيش بني أسد، بقيادة طليحة بن خويلد (٤٥٠٠ جندي)

٦- جيش بني سليم، بقيادة سفيان بن عبد شمس (٧٠٠ جندي)، وقد التحقوا بجيش التحالف في (مُرَّ الظهران)..

ومن ثم تجاوز عددهم العشرة آلاف ، وكانت القيادة العامة لأبي سفيان .

إضافة إلى عدو داخلي في المدينة هو الفصيل اليهودي .

وتجمع فصائل جيش التحالف اليهودي الوثني بهذا الشكل وبهذا الحجم يشي بمدى الجهد الذي بذله الوفد اليهودي – في تحركاته التي جابت الجزيرة – بهدف إعداد جيش عملاق ينهي الوجود الإسلامي إلى غير رجعة .

إضافة إلى تلك الأطماع التي ظهرت وسال لعاب أصحابها، فالمدينة بالنسبة لأعراب الجزيرة صيد ثمين وغنيمة ضخمة، كما أن إفناء المسلمين هدف أسمى بالنسبة للوثنين واليهود على حد سواء .

إنهم شرعوا – في حقيقة الأمر – نحو حرب قذرة، نجح اليهود فيها في الإيقاع بين بني العم وذوي الرحم (المسلمين المهاجرين والوثيين القريشيين)، ونجح اليهود في

---

١ ابن هشام ٢ / ٢١٥

obeikandl.com

تجميع أكبر قدر من المرتزقة والأعراب الذي لا هم لهم إلا السلب والنهب وقطع الطرق .

وإنه العار الذي لحق بالأمة اليهودية صاحبة الكتاب السماوي، لما تحالفت مع الوثنية ضد التوحيد، ومع الأعداء ضد أبناء الوطن .

المطلب الثاني : حفر الخندق :

أولاً : أهمية الشورى والأفكار المستحدثة في الحرب :

رُفعت إلى حضرة النبي ﷺ التقريرات الاستخباراتية، التي تفيد بتحرك جيوش التحالف صوب المدينة، فاسْتَشَارَ الصّحَابَةَ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ سَلْمَانُ الْفَارِسِيّ بِحَفْرِ خَنْدَقٍ يَحُولُ بَيْنَ الْعَدُوّ وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ، وهي فكرة دفاعية أثبتت روعتها ونجاحها١ ..

فطفق الناس يهتفون بسلمان، فقال المهاجرون : سَلْمَانُ مِنّا ؛ وَقَالَتْ الْأَنْصَارُ : سَلْمَانُ مِنّا؛ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ سَلْمَانُ مِنّا أَهْلَ الْبَيْتِ٢ .

وهو الدرس المعهود في علاقة القائد بجنوده، وسمته في إدارة الحرب من أولها إلى آخرها، وموقف الشورى هذه المرة، تمخض عن فائدة جديدة، ألا وهي ظهور الكفاءات والعبقريات في الجو الشوري، نعم ، هذه هي سمة البيئة الشورية في المعارك؛ بيئة جاذبة للعقول، تحتضن أصحاب المواهب والأفكار .

ثانيًا : القيادة المتواضعة وفقه الاستئذان

لما أصدر النبي قراره بضَرَبَ الْخَنْدَقَ عَلَى الْمَدِينَةِ ، عَمِلَ فِيهِ رَسُولُ اللّهِ ﷺ – بنفسه – تَرْغِيبًا لِلْمُسْلِمِينَ فِي الْأَجْرِ، وتحميسًا لهم ، وتواضعًا منه ﷺ فما فلا يليق بالقائد العظيم أن يجلس في رغد ولهو على الفراش اللين الدافىء من خلف جنوده الذي يتضاغون جوعًا ويرتعدون من البرد شمال المدينة حيث أعمال الحفر ..

وَعَمِلَ الأبطال في أعمال حفر الخندق؛ فَدَأَبَ فِيهِ القائد وَدَأَبُوا . وَأَبْطَأَ عَنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَعَنْ الْمُسْلِمِينَ فِي عَمَلِهِمْ ذَلِكَ رِجَالٌ مِنْ الْمُنَافِقِينَ، وَجَعَلُوا يُوَرّونَ بِالضّعِيفِ مِنْ الْعَمَلِ، وَيَتَسَلّلُونَ إلَى أَهْلِيهِمْ – هربًا من أعمال الحفر – بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَلَا إذْنٍ . وَجَعَلَ الرّجُلُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ إذَا نَابَتْهُ النّائِبَةُ مِنْ الْحَاجَةِ الّتِي لَا بُدّ لَهُ مِنْهَا ، يَذْكُرُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللّهِ ﷺ وَيَسْتَأْذِنُهُ فِي اللّحُوقِ بِحَاجَتِهِ فَيَأْذَنُ لَهُ – في رحمة وعفو – فَإِذَا قَضَى حَاجَتَهُ

---

١ ابن القيم : زاد المعاد ٣ / ٢٤٠

٢ ابن هشام ٢ / ٢٢٤

رَجَعَ إِلَى مَا كَانَ فِيهِ مِنْ عَمَلِهِ رَغْبَةً فِي الْخَيْرِ وَاحْتِسَابًا لَهُ١ .

فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِي أُولَئِكَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾٢..

وفي هذا دلالة على أهمية الاستئذان إذا ما أراد الجندي الانصراف عن العمل الحربي لضرورة أو لحاجة .. فلا يجوز له – شرعًا أوخُلقًا – أن يتحول عن العمل الجماعي إلى العمل الفردي – أي من المصلحة العامة إلى المصلحة الخاصة – إلا بموافقة صريحة من القائد ..

ثالثًا : أهمية الأشعار والأناشيد الحماسية :

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:

كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْخَنْدَقِ وَهُمْ يَحْفِرُونَ وَنَحْنُ نَنْقُلُ التُّرَابَ عَلَى أَكْتَادِنَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَهْ فَاغْفِرْ لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ"٣ .

وعن أنس قال :

خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْخَنْدَقِ فَإِذَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَبِيدٌ يَعْمَلُونَ ذَلِكَ لَهُمْ فَلَمَّا رَأَى مَا بِهِمْ مِنْ النَّصَبِ وَالْجُوعِ قَالَ اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَهْ

فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَهْ

فَقَالُوا مُجِيبِينَ لَهُ نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا

عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدَا.

فكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْقُلُ التُّرَابَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ حَتَّى أَغْمَرَ بَطْنَهُ أَوْ اغْبَرَّ بَطْنُهُ٤ .

وكان من بين المجاهدين رجلاً من الْمُسْلِمِينَ يُقَالُ لَهُ جُعَيْلٌ .. فَسَمَّاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ

---

١ ابن هشام ٢ / ٢١٥

٢ ابن هشام ٢ / ٢١٦

٣ صحيح البخاري، كتاب المغازي، بَاب غَزْوَةِ الأحزاب وَهِيَ الْخَنْدَقُ (٣٧٨٩)

٤ صحيح البخاري ، كتاب المغازي، بَاب غَزْوَةِ الأحزاب وَهِيَ الْخَنْدَقُ (٣٧٩٥)

obeikandl.com

عَمْرًا ..

فطفق الصحابة يرددون مرارًا :

سَمّاهُ مِنْ بَعْدِ جُعَيْلٍ عَمْرَا ... وَكَانَ لِلْبَائِسِ يَوْمًا ظَهْرَا

فَإِذَا مَرّوا " بِعَمْرٍو " قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " عَمْرًا !"

وَإِذَا مَرّوا " بِظَهْرٍ " قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " ظَهْرًا "١.

وعن الْبَرَاءَ قَالَ

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ يَنْقُلُ مَعَنَا التُّرَابَ وَلَقَدْ وَارَى التُّرَابُ بَيَاضَ بَطْنِهِ وَهُوَ يَقُولُ : وَاللهِ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا

وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا

[إِنَّ الْأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا] ٢

إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا"٣

وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ أَبَيْنَا أَبَيْنَا٤ .

وَكَانَ شِعَارُ الجيش الإسلامي يَوْمَ الْخَنْدَقِ :

" حم ، لَا يُنْصَرُون"٥

وكان الجنود يرددونه من حين لآخر لرفع المعنويات والتحميس وشحذ الهمم.

ومثل هذه المواقف تدلل على قدرة القائد الكبيرة في الجمع بين الجد والترويح عن النفس، لاسيما في شدة الحصار وكربة الحرب.. وإنشاد الأناشيد والأشعار الجهادية في ثنايا المحن دائمًا تحقق عدة فوائد ، أهمها :

(١) الترويح عن الجنود .. في شدة الضنك

---

١ ابن هشام ٢ / ٢١٧

٢ صحيح البخاري، كتاب المغازي، بَاب غَزْوَةِ الأحزاب وَهِيَ الْخَنْدَقُ(٣٧٩٥)

٣ صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، بَاب غَزْوَةِ الأحزاب وَهِيَ الْخَنْدَقُ،(٣٣٦٥)

٤ صحيح البخاري، كتاب المغازي، بَاب غَزْوَةِ الأحزاب وَهِيَ الْخَنْدَقُ (٣٧٩٥)

٥ ابن هشام ٢ / ٢٢٦

obeikandi.com

(٢) إلهاب مشاعر الجنود بشكل إيجابي نحو العقيدة والوطن

(٣) تقوية الصلة بين الجنود وقاداتهم، فضلاً عن الجنود وبعضهم .

رابعًا : الصبر على قلة الزاد :

الصبر على قلة الزاد، من الآداب الهامة التي ينبغي أن يتربى عليها جند الله، ليكون الصبر وقودًا لهم في ساح القتال .. حيث الجوع والمخمصة ..

ولقد ضرب الصحابة أروع المثل في الصبر على قلة الزاد، " فكانوا يُؤْتَوْنَ بِمِلْءِ كَفِّي مِنْ الشَّعِيرِ فَيُصْنَعُ لَهُمْ بِإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ تُوضَعُ بَيْنَ يَدَيْ الْقَوْمِ، وَالْقَوْمُ جِيَاعٌ وَهِيَ بَشِعَةٌ فِي الْحَلْقِ وَلَهَا رِيحٌ مُنْتِنٌ !!"١

قال جابر- مشيرًا إلى أيام الخندق - :" وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقًا"٢.

وقال واصفًا حال قائدهمﷺ

"لَمَّا حُفِرَ الْخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا"٣

لقد بلغ منه ﷺ الجوع مبلغًا عظيمًا، يوم الخندق، حتى ربط على بطنه ليقاوم الجوع، قال أبو طلحة: "شكونا إلى رسول اللهﷺ الجوع فرفعنا عن بطوننا عن حجر حجر، فرفع رسول اللهﷺ عن حجرين"٤ !

خامسًا : بركات الجهاد :

عندما ينهمك الرجال في العمل الجهادي الخالص، سرعان ما يعايشون كرامات المجاهدين وبركات الجهاد، تلك البركات التي تجعل من القليل كثير، وتجعل من طعام الواحد ما يكفي لمئات ..

قَالَتْ بْنت بَشِيرٍ ابن سعد:

دَعَتْنِي أُمِّي عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ ، فَأَعْطَتْنِي حَفْنَةً مِنْ تَمْرٍ فِي ثَوْبِي ، ثُمّ قَالَتْ أَيْ بُنَيّةُ . اذْهَبِي إلَى أَبِيك وَخَالِك عَبْدِ اللهّ بْنِ رَوَاحَةَ بِغَدَائِهِمَا ، قَالَتْ فَأَخَذْتهَا ، فَانْطَلَقْت بِهَا ، فَمَرَرْتُ بِرَسُولِ اللهّﷺ وَأَنَا أَلْتَمِسُ أَبِي وَخَالِي ، فَقَالَ : "تَعَالَيْ يَا بُنَيّةُ مَا هَذَا مَعَك ؟ "

---

١ صحيح البخاري، كتاب المغازي، بَاب غَزْوَةِ الأحزاب وَهِيَ الْخَنْدَقُ (٣٧٩١)

٢ صحيح البخاري، كتاب المغازي، بَاب غَزْوَةِ الأحزاب وَهِيَ الْخَنْدَقُ (٣٧٩٢)

٣ صحيح البخاري ، كتاب المغازي، بَاب غَزْوَةِ الأحزاب وَهِيَ الْخَنْدَقُ (٣٧٩٣)

٤ الترمذي، كتاب الزهد عن رسول اللهﷺ، باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ (٢٣٧١)

قالت : يَا رَسُولَ اللهِّ هَذَا تَمْرٌ بَعَثَنِي بِهِ أُمّي إِلَى أَبِي بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ وَخَالِي عَبْدِ اللهِّ بْنِ رَوَاحَةَ يَتَغَدّيَانِهِ. قَالَ:

" هَاتِيهِ"، قَالَتْ :فَصَبَبْته فِي كَفّيْ رَسُولِ اللهِّ ﷺ فَمَا مَلَأَتْهُمَا ! ثُمّ أَمَرَ بِثَوْبٍ فَبُسِطَ لَهُ، ثُمّ دَحَا بِالتّمْرِ عَلَيْهِ فَتَبَدّدَ فَوْقَ الثّوْبِ، ثُمّ قَالَ لِإِنْسَانٍ عِنْدَهُ: " اُصْرُخْ فِي أَهْلِ الْخَنْدَقِ : أَنْ هَلُمّ إِلَى الْغَدَاءِ !".. فَاجْتَمَعَ أَهْلُ الْخَنْدَقِ عَلَيْهِ فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْهُ! وَجَعَلَ يَزِيدُ١ !حَتّى صَدَرَ أَهْلُ الْخَنْدَقِ عَنْهُ وَإِنّهُ لَيَسْقُطُ مِنْ أَطْرَافِ الثّوْبِ !!٢ .

سادسًا: القائد في خدمة جنوده :

قال جابر رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ :

إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ فَجَاءُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الْخَنْدَقِ فَقَالَ: " أَنَا نَازِلٌ" ..

ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ- وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقًا- فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺالْمِعْوَلَ فَضَرَبَ فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ - أَوْ أَهْيَمَ-، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَّ ائْذَنْ لِي إِلَى الْبَيْتِ. فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي :رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺشَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ !فَعِنْدَكِ شَيْءٌ ؟

قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ.

فَذَبَحَتْ الْعَنَاقَ، وَطَحَنَتْ الشَّعِيرَ، حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْعَجِينُ قَدْ انْكَسَرَ وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الْأَثَافِيِّ قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ، فَقُلْتُ: طُعَيِّمٌ لِي فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهَّ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ. قَالَ : "كَمْ هُوَ ؟".. فَذَكَرْتُ لَهُ .. قَالَ : "كَثِيرٌ طَيِّبٌ " .. قَالَ: " قُلْ لَهَا لَا تَنْزِعْ الْبُرْمَةَ وَلَا الْخُبْزَ مِنْ التَّنُّورِ حَتَّى آتِيَ" .. فَقَالَ: " قُومُوا".. فَقَامَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ !! فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ قَالَ: وَيْحَكِ ! جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ..

قَالَتْ : هَلْ سَأَلَكَ؟

قال :نَعَمْ

فلما أقبل رسول الله ﷺ بأهل الخندق

---

١ وهي معجزة من معجزاته، ومن دلائل نبوته ﷺ

٢ ابن هشام ٢ / ٢١٨

قَالَ : "ادْخُلُوا وَلَا تَضَاغَطُوا" ..

[قَالَ جابر: فَجَلَسَ وَأَخْرَجْنَاهَا (يعني الشويهة) إِلَيْهِ . قَالَ فَبَرّك وَسَمّى اللهّ]١

فَجَعَلَ يَكْسِرُ الْخُبْزَ ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ وَيُخَمِّرُ الْبُرْمَةَ وَالتَّنُّورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ، ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الْخُبْزَ وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ٢ قَالَ : "كُلِي هَـذَا، وَأَهْدِي فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ"..٣.

وفي هذا المشهد المعجز من رسول الله ﷺ، يلفت نظرنا أنه كان في خدمة جنوده في أول المشهد وآخره ..

فكان في خدمتهم لما عَرَضَتْ عليهم كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ، فقال في تواضع جم :" أنا نازل"، وتحرك بمعوله الكريم صوب الكدية؛ لينسفها، وهو أقوى الرجال – صلوات ربي وسلامه عليه – .

وكان في خدمتهم في آخر المشهد، لما جاء جابر وقد أعد " طعيم" – على حد قوله – لرسول الله ﷺ، فكان من القائد أن أطعم جنوده بنفسه، ووقف يوزع الطعام عليهم بشخصه، حتى إذا ما أكلوا وشبعوا أكل هو.. !

إنها القيادة الرشيدة التي تهوى إليها الأفئدة بمثل هذه المواقف الكريمة، والأخلاق الحميدة، فما كان ليرضى رسول الله-ﷺ – أن يَطعم طعامًا قبل رجاله، وليس من أخلاقه أن يجلس إلى الموائد الشهية الفاخرة خلسة من وراء جنوده، أو أن يتميز عنهم في طعام أو شراب ..

سابعًا : أهمية التبشير بالنصر والفتوحات وقت المحن :

إن من أخلاقيات القيادة الإسلامية في ميادين القتال، التبشير بالنصر والتفاؤل بالظفر، والعمل الإعلامي الجاد المتواصل في بث روح الثقة في الله ومدده ..

ففي مشهد الكدية التي عَرَضَتْ على الرجال، وَقَامَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ وَأَخَذَ الْمِعْوَلَ،

---

١ ابن هشام ٢ / ٢١٨

٢ وهي معجزة من معجزاته، ومن دلائل نبوته ﷺ

٣ صحيح البخاري ، كتاب المغازي، بَاب غَزْوَةِ الأحزاب وَهِيَ الْخَنْدَقُ (٣٧٩٢)

ليحطم الصخرة التي أرهقت الجنود، قَالَ :

"تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " ..

فَنَدَرَ ثُلُثُ الْحَجَرِ ! وَسَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ قَائِمٌ يَنْظُرُ! فَبَرَقَ مَعَ ضَرْبَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَرْقَةٌ .. ثُمَّ ضَرَبَ الثَّانِيَةَ، وَقَالَ :

"تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" ..

فَنَدَرَ الثُّلُثُ الْآخَرُ، فَبَرَقَتْ بَرْقَةٌ!! فَرَآهَا سَلْمَانُ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ وَقَالَ:

" تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " ..

فَنَدَرَ الثُّلُثُ الْبَاقِي، وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ وَجَلَسَ ..

قَالَ سَلْمَانُ : يَا رَسُولَ اللهِ، رَأَيْتُكَ حِينَ ضَرَبْتَ مَا تَضْرِبُ ضَرْبَةً إِلَّا كَانَتْ مَعَهَا بَرْقَةٌ!!

قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

" يَا سَلْمَانُ .. رَأَيْتَ ذَلِكَ ؟؟ "

فَقَالَ: إِي وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ يَا رَسُولَ اللهِ ..

قَالَ : " فَإِنِّي حِينَ ضَرَبْتُ الضَّرْبَةَ الْأُولَى رُفِعَتْ لِي مَدَائِنُ كِسْرَى وَمَا حَوْلَهَا وَمَدَائِنُ كَثِيرَةٌ حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ" ..

قَالَ لَهُ مَنْ حَضَرَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ يَا رَسُولَ اللهِ : ادْعُ اللهَ أَنْ يَفْتَحَهَا عَلَيْنَا وَيُغَنِّمَنَا دِيَارَهُمْ... !!

فَدَعَا رَسُولُ اللهِ –ﷺ– بِذَلِكَ

قال : " ثُمَّ ضَرَبْتُ الضَّرْبَةَ الثَّانِيَةَ فَرُفِعَتْ لِي مَدَائِنُ قَيْصَرَ وَمَا حَوْلَهَا حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ"..

قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ : ادْعُ اللهَ أَنْ يَفْتَحَهَا عَلَيْنَا وَيُغَنِّمَنَا دِيَارَهُمْ ...

فَدَعَا رَسُولُ اللهِ – ﷺ – بِذَلِكَ

" ثُمَّ ضَرَبْتُ الثَّالِثَةَ فَرُفِعَتْ لِي مَدَائِنُ الْحَبَشَةِ وَمَا حَوْلَهَا مِنْ الْقُرَى حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ"..

قَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: " دَعُوا الْحَبَشَةَ مَا وَدَعُوكُمْ وَاتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ"١.

المطلب الثالث : الحصار

أولاً: بداية الحصار :

لَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ مِنْ الْخَنْدَقِ ، أَقْبَلَتْ قُرَيْشٌ حَتّى نَزَلَتْ بِمُجْتَمَعِ الْأَسْيَالِ مِنْ رُومَةَ ، بَيْنَ الْجُرُفِ وَزَغَابَةَ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ، منهم بَنِي كِنَانَةَ وَأَهْلِ تِهَامَةَ ، وَأَقْبَلَتْ غَطَفَانُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ، حَتّى نَزَلُوا بِذَنَبِ نَقْمَى ، إلَى جَانِبِ أُحُدٍ٢ .

فلما تقدموا، وكانت مفاجئة الخندق، قَالُوا – في ذهول – : إنّ هَذِهِ مَكِيدَةٌ مَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَعْرِفُهَا٣

وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ حَتّى جَعَلُوا ظُهُورَهُمْ إلَى سَلْعٍ ، فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَضَرَبَ هُنَالِكَ عَسْكَرَهُ وَالْخَنْدَقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَوْمِ٤ . وقد اسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمّ مَكْتُومٍ .. وَأَمَرَ بِالذّرَارِيّ وَالنّسَاءِ فَجُعِلُوا فِي الْآطَامِ٥ .

ثانيًا : حرب الرسائل :

أراد المشركون أن يشنوا حربًا نفسية برسالة توبيخية استفزازية.. فأرسل أبو سفيان كتاباً لرسول الله ﷺ فيه:

باسمك اللهم، فإني أحلف باللات والعزى.. وأساف ونائلة وهبل، لقد سرت إليك في جمع وأنا أريد أن لا أعود إليك أبداً حتى أستأصلكم، فرأيتك قد كرهت لقاءنا واعتصمت بمكيدة ما كانت العرب تعرفها، وإنما تعرف ظل رماحها وشبا سيوفها، وما فعلت هذا إلا فراراً من سيوفنا ولقائنا، ولك مني يوم كيوم أحد" .

فأرسل له رسول الله ﷺ جوابه فيه:

" بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى صخر بن حرب، فقد أتاني

---

١ سنن النسائي، كتاب الجهاد، باب غزوة الترك والحبشة (٣١٢٥)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي، والصحيحة (٧٧٢)، صحيح الجامع الصغير (٣٣٨٤)

٢ ابن هشام ٢ / ٢١٩

٣ ابن القيم : زاد المعاد ٣ / ٢٤٠

٤ ابن هشام – ٢ / ٢١٩

٥ ابن هشام ٢ / ٢٢٠

كتابك، وقديماً غرك بالله الغرور. أما ما ذكرت أنك سرت إلينا وأنت لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا، فذلك أمر يحول الله بينك وبينه ويجعل لنا العاقبة، وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى وأسافاً ونائلة وهبل، حتى أذكرك ذلك يا سفيه بني غالب "١.

ثالثًا : تدارك الثغرات ومتابعتها :

وكان الرسول يختلف إلى ثلمة او ثغرةفي الخندق.

تقول عائشة رضي الله عنه: وكان يذهب إلى تلك الثلمة، فإذا أخذه البرد جاء فأدفأته في حضني، فإذا دفيء خرج إلى تلك الثلمة ويقول: ما أخشى أن تؤتي المسلمون إلا منها، فبينما رسول الله ﷺ في حضني صار يقول : "ليت رجلاً صالحاً يحرس هذه الثلمة الليلة"، فسمع صوت السلاح، فقال رسول الله ﷺ:" من هذا؟". فقال سعد بن أبي وقاص: "سعد، يا رسول الله أتيتك أحرسك !".

فقال:" عليك هذه الثلمة فاحرسها" ..

ونام رسول الله ﷺ حتى غط، وقام في قبته يصلي لأنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة"٢

ثم خرج من قبته، فقال: "هذه خيل المشركين تطيف بالخندق" .. ثم نادى :" يا عباد بن بشر" ..

قال: لبيك

قال : "هل معك أحد ؟ "

قال: نعم أنا في نفر حول قبتك يا رسول الله .

وكان ألزم الناس لقبة رسول الله -ﷺ يحرسها- فبعثه يطيف بالخندق، وأعلمه بأن خيل المشركين تطيف بهم٣..

ولما استأخر المشركون الفتح، تَيَمَّمُوا مَكَانًا ضَيِّقًا مِنْ الْخَنْدَقِ ، فَضَرَبُوا خَيْلَهُمْ فَاقْتَحَمَتْ مِنْهُ فَجَالَتْ بِهِمْ فِي السَّبْخَةِ بَيْنَ الْخَنْدَقِ وَسَلْعٍ ، وَخَرَجَ عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي نَفَرٍ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى أَخَذُوا عَلَيْهِمْ الثَّغْرَةَ الَّتِي أَقْحَمُوا مِنْهَا

١ الحلبي ٢/ ٦٢٨
٢ الحلبي ٢/ ٦٢٨
٣ الحلبي ٢/ ٦٢٨

خَيْلَهُمْ ، فسدوا هذه الثغرة١ ..

رابعًا : مبارزة علي بن أبي طالب عمرو بن ود ودرس في أخلاق المقاتل :

وَكَانَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وُدّ قَدْ قَاتَلَ يَوْمَ بَدْرٍ حَتّى أَثْبَتَتْهُ الْجِرَاحَةُ فَلَمْ يَشْهَدْ يَوْمَ أُحُدٍ ؛ فَلَمّا كَانَ يَوْمُ الْخَنْدَقِ خَرَجَ مُعْلِمًا لِيُرِيَ مَكَانَهُ فَلَمّا وَقَفَ هُوَ وَخَيْلُهُ قَالَ:

مَنْ يُبَارِزُ ؟ ..

فَبَرَزَ لَهُ عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لَهُ يَا عَمْرُو: إنّك قَدْ كُنْت عَاهَدْت اللهّ أَلّا يَدْعُوك رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ إلَى إحْدَى خَلّتَيْنِ إلّا أَخَذْتهَا مِنْهُ .

قَالَ لَهُ: أَجَلْ ..

قَالَ لَهُ عَلِيّ : فَإِنّي أَدْعُوك إلَى اللهّ وَإِلَى رَسُولِهِ وَإِلَى الْإِسْلَامِ.

قَالَ : لَا حَاجَةَ لِي بِذَلِكَ.

قَالَ : فَإِنّي أَدْعُوك إلَى النّزَالِ.

فَقَالَ لَهُ: لِمَ يَا ابْنَ أَخِي ؟ فَوَاَللهّ مَا أُحِبّ أَنْ أَقْتُلَك .

قَالَ لَهُ عَلِيّ : لَكِنّي وَاَللهّ أُحِبّ أَنْ أَقْتُلَك !!

فَحَمِيَ عَمْرٌو عِنْدَ ذَلِكَ فَاقْتَحَمَ عَنْ فَرَسِهِ فَعَقَرَهُ وَضَرَبَ وَجْهَهُ ثُمّ أَقْبَلَ عَلَى عَلِيّ فَتَنَازَلَا وَتَجَاوَلَا ، فَقَتَلَهُ عَلِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . وَخَرَجَتْ خَيْلُهُمْ مُنْهَزِمَةً حَتّى اقْتَحَمَتْ مِنْ الْخَنْدَقِ هَارِبَةً٢ .

وذكر ابن إسحاق أن المشركين بعثوا إلى رسول الله ﷺ يشترون جيفة عمرو بعشرة آلاف، فقال رسول الله ﷺ:

"هو لكم ولا نأكل ثمن الموتى"٣.

ولما أقبل علي – رضي الله عنه – بعد قتله لعمرو بن عبد ود على رسول الله ﷺ وهو متهلل، قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: هلا سلبته درعه، فإنه ليس في العرب درع

---

١ ابن هشام ٢ / ٢٢٤

٢ ابن هشام ٢ / ٢٢٤

٣ الحلبي ٢/ ٦٢٨

obeikandi.com

خير منها؟ قال: إني حين ضربته استقبلني بسوءته فاستحييت يا ابن عمي أن أسلبه ١.

وثمة عدة دروس نستخلصها من موقف مقتل عمرو بن ود أحد طغاة العرب في الجاهلية، ومن هذه الدروس :

– أن المقاتل المسلم هو داعية إلى الحق قبل أي اعتبار حربي، فقد بدأ بالحوار الدعوي مع خصمه الذي تحدى المسلمين بالمبارزة، وعرض عليه المقاتل المسلم أن يدخل في الإسلام قائلاً : " فَإِنِّي أَدْعُوك إِلَى اللهّ وَإِلَى رَسُولِهِ وَإِلَى الْإِسْلَامِ" .. وهو أمر يؤكد على أن القتال في الإسلام ليس عبارة عن قتال من أجل السلب أو النهب إنما القتال في الإسلام يتسم برسالته الدعوية التي تعلي من قدر العقيدة والأخلاق على أي مصلحة عسكرية ..

– وفي قول المقاتل المسلم لطاغية العرب : " فَإِنِّي أَدْعُوك إِلَى النِّزَالِ"، دلالة على ماي نبغي أن يتصف به المقاتل المسلم من الشجاعة والرغبة والاستعداد في منزالة الطغاة في ساح الحروب لتخليص البشرية منهم !

–أن حسن الأخلاق الحربية واحترام آدمية الأعداء لهي من أبرز صفات المقاتل المسلم الناجح، فنرى أن عليًا لما قتل عمرو بن ود وانكشفت عورته، قال علي بن أبي طالب – معللاً سبب عدم أخذ سلب عمرو – "إني حين ضربته استقبلني بسوءته فاستحييت يا ابن عمي أن أسلبه" .. صور رائعة في احترام حقوق الإنسان المحارب، وفي سمو أخلاق الجنود الإسلاميين في ميادين القتال .

خامسًا : لا نأكل ثمن الموتى !

ولما حاول نوفل بن عبد الله – لعنه الله – اقتحام الخندق الذي صنعه المسلمون لتحصين المدينة من حصار التحالف الوثني – في غزو الأحزاب – ومات مقتولاً في الخندق، عندما أصر على اقتحامه في فرقة من المشركين، سأل المشركون المسلمين جثته بمال يعطونه المسلمين، فأرسل المشركون إلى النبي: أن أرسل إلينا بجسده ونعطيك اثني عشر ألفاً٢.. فتعفف رسول الله عن هذا المال الخبيث، ونهاهم عن ذلك وكرهه !! وقال: " ادْفَعُوا إِلَيْهِمْ جِيفَتَهُمْ فَإِنَّهُ خَبِيثُ الْجِيفَةِ خَبِيثُ الدِّيَةِ"٣

---

١ ابن كثير: السيرة النبوية ٣/ ٢٠٥، السهيلي ٤/ ٣٧٩، الحلبي ٢/ ٦٢٨

٢ الحلبي ٢/ ٦٢٨

٣ مسند أحمد (٢٢٣٠)، (٢٤٤٢)، ابن كثير: السيرة النبوية ٣/ ٢٠٥

وفي رواية قال: " ولا نمنعكم أن تدفنوه، ولا أرب لنا في ديته"١. فلم يقبل منهم شيئًا، وخلى بينهم وبينه ..

وفي رواية : عن عن عكرمة أن نوفلاً تردى به فرسه يوم الخندق فقُتل فبعث أبو سفيان إلى النبي ﷺ بديته مائة من الإبل فأبى النبي ﷺوقال : "خذوه فإنه خبيث الدية خبيث الجثة"٢ ..

وفي رواية قال ﷺ : " هو لكم ، لا نأكل ثمن الموتى "٣

وإنما كره هذا لئلا ينسب إلى المسلمين ما لا يليق بمكارم الأخلاق، فقد كان عليه السلام يقول: بعثت لأتمم مكارم الأخلاق٤.

وبهذا الموقف يكون لرسول الله ﷺ السبق في تحريم أكل ثمن الجثث، وهو بذلك يظهر لأعدائه الجانب الأخلاقي الإسلامي في الحروب..

سادسًا : القتل الخطأ الذي لا دية فيه :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ قَالَ :

خَرَجَتْ طَلِيعَتَانِ لِرَسُولِ اللهَّ ﷺ مِنْ الْخَنْدَقِ لَيْلًا فَالْتَقَتَا تَحْتَ اللَّيْلِ وَلَا يَشْعُرُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ، وَيَظُنُّونَ أَنَّهُمْ الْعَدُوُّ .فَكَانَتْ بَيْنَهُمْ جِرَاحَاتٌ وَقَتْلَى .ثُمَّ تَنَادَوْا بِشِعَارِ الْإِسْلَامِ فَكَفَّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ .

فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهَّ ﷺ فَقَالَ :

"جِرَاحَاتُكُمْ فِي سَبِيلِ اللهَّ .. وَمَنْ قُتِلَ مِنْكُمْ فَهُوَ شَهِيدٌ " ٥.

ولذلك يقول العلماء : إذَا الْتَقَتْ السَّرِيَّتَانِ لَيْلًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ وَكُلُّ وَاحِدَةٍ تَرَى أَنَّ صَاحِبَتَهَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَاقْتَتَلُوا فَأَجْلَوْا عَنْ قَتْلَى ثُمَّ عَلِمُوا ، فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِمْ مِنْ دِيَةٍ وَلَا كَفَّارَةٍ .لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْ السَّرِيَّتَيْنِ بَاشَرَتْ دَفْعًا مُبَاحًا ، فَقَدْ قَصَدَتْ كُلُّ سَرِيَّةٍ إلَى الْأُخْرَى ، وَإِنَّمَا قَتَلَتْهَا الْأُخْرَى دَفْعًا عَنْ أَنْفُسِهِمْ .وَذَلِكَ دَفْعٌ مَأْمُورٌ بِهِ شَرْعًا فَلَا يَكُونُ

---

١ الحلبي ٢/ ٦٢٨

٢ ابن أبي شيبة (٣٦٨٢٤) ، المتقي الهندي : كنز العمال (٣٠١٠٢)

٣ البيهقي : دلائل النبوة (١٣٢٠)

٤ السرخسي : شرح كتاب السير الكبير١ / ٤٤٨

٥ السرخسي: شرح السير الكبير ١ / ١١٤

مُوجِبًا دِيَةً وَلَا كَفَّارَةً١.

سابعًا : أهمية اللجوء إلى الله لفك الحصار:

فقد دَعَا رَسُولُ اللهِّ ﷺ عَلَى الْأَحْزَابِ فَقَالَ :

"اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ سَرِيعَ الْحِسَابِ اهْزِمْ الْأَحْزَابَ! اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ"٢.

وكان يدعوا قائلاً: "اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا"٣.

وكان يقول: "اللهم ادفع عنا شرهم، وانصرنا عليهم، واغلبهم لا يغلبهم غيرك"٤.

واللجوء إلى الله لفك الحصار هو في الأساس من ديدن جند الله، فهم يجلبون نصر الله بالقيام والتضرع إلى الله، ويدفعون خزيه بذلك كذلك .

ثامنًا : أهمية الصلاة وقت الحرب :

فعَنْ النَّبِيِّ ﷺأَنَّهُ قَالَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ:" مَلَأَ اللهُّ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا كَمَا شَغَلُونَا عَنْ صَلَاةِ الْوُسْطَى حَتَّى غَابَتْ الشَّمْسُ"٥.

وقد جعل عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ- يَوْمَ الْخَنْدَقِ بَعْدَ مَا غَرَبَتْ الشَّمْسُ جَعَلَ يَسُبُّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِّ مَا كِدْتُ أَنْ أُصَلِّيَ حَتَّى كَادَتْ الشَّمْسُ أَنْ تَغْرُبَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : "وَاللهِّ مَا صَلَّيْتُهَا !!"

قال جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِّ: فَنَزَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بُطْحَانَ فَتَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ وَتَوَضَّأْنَا لَهَا فَصَلَّى الْعَصْرَ بَعْدَمَا غَرَبَتْ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّى بَعْدَهَا الْمَغْرِبَ٦.

المطلب الرابع : قريظة تخون الدولة الإسلامية

أولاً : حركة حُيَيّ بْنُ أَخْطَبَ :

خَرَجَ عَدُوّ اللهّ حُيَيّ بْنُ أَخْطَبَ النّضْرِيّ ، حَتّى أَتَى كَعْبَ بْنَ أَسَدٍ الْقُرَظِيّ، زعيم بني قريظة، وصَاحِبَ عَقْدِ بَنِي قُرَيْظَةَ وَعَهْدِهِمْ مع الدولة الإسلامية .. فَلَمّا سَمِعَ كَعْبٌ بِحُيَيّ بْنِ أَخْطَبَ أَغْلَقَ دُونَهُ بَابَ حِصْنِهِ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ فَأَبَى أَنْ يَفْتَحَ لَهُ فَنَادَاهُ حُيَيّ :

---

١ السرخسي: شرح السير الكبير ١ / ١١٤

٢ صحيح البخاري ، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب (٣٨٠٦)

٣ مسند أحمد (١٠٥٧٣)

٤ الحلبي ٢/ ٦٢٨

٥ صحيح البخاري ، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب (٣٨٠٢)

٦ صحيح البخاري ، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب (٣٨٠٣)

وَيْحَك يَا كَعْبُ افْتَحْ لِي !!

قَالَ : وَيْحك يَا حُيَيّ ! إنّك امْرُؤٌ مَشْئُومٌ، وَإِنّي قَدْ عَاهَدْت مُحَمّدًا ، فَلَسْتُ بِنَاقِضٍ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَلَمْ أَرَ مِنْهُ إلّا وَفَاءً وَصِدْقًا !

قَالَ : وَيْحَك افْتَحْ لِي أُكَلّمْك ..

قَالَ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ.

قَالَ : وَاَللهّ إنْ أَغْلَقْت دُونِي إلّا عَنْ جَشِيشَتِك .. وَيْحَك يَا كَعْبُ جِئْتُك بِعِزّ الدّهْرِ، وَبِبَحْرٍ طَامّ، جِئْتُك بِقُرَيْشٍ عَلَى قَادَتِهَا وَسَادَتِهَا ، حَتّى أَنْزَلْتهمْ بِمُجْتَمَعِ الْأَسْيَالِ مِنْ رُومَةَ، وَبِغَطَفَانَ عَلَى قَادَتِهَا وَسَادَتِهَا حَتّى أَنْزَلْتُهُمْ بِذَنَبِ نَقْمَى إلَى جَانِبِ أُحُدٍ ، قَدْ عَاهَدُونِي وَعَاقَدُونِي عَلَى أَنْ لَا يَبْرَحُوا حَتّى نَسْتَأْصِلَ مُحَمّدًا وَمَنْ مَعَهُ .

فَقَالَ لَهُ كَعْبٌ : جِئْتنِي وَاَللهّ بِذُلّ الدّهْرِ وَبِجَهَامٍ قَدْ هَرَاقَ مَاءَهُ فَهُوَ يَرْعَدُ وَيَبْرُقُ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ ! وَيْحَك يَا حُيَيّ ! فَدَعْنِي وَمَا أَنَا عَلَيْهِ، فَإِنّي لَمْ أَرَ مِنْ مُحَمّدٍ إلّا صِدْقًا وَوَفَاءً .

فَلَمْ يَزَلْ حُيَيّ بِكَعْبٍ يَفْتِلُهُ فِي الذّرْوَةِ وَالْغَارِبِ حَتّى سَمَحَ لَهُ عَلَى أَنْ أَعْطَاهُ عَهْدًا وَمِيثَاقًا : لَئِنْ رَجَعَتْ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ ، وَلَمْ يُصِيبُوا مُحَمّدًا أَنْ أَدْخُلَ مَعَك فِي حِصْنِك حَتّى يُصِيبَنِي مَا أَصَابَك . فَنَقَضَ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ عَهْدَهُ وَبَرِئَ مِمّا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللهّ ﷺ[1] .

ثانيًا : أخلاقيات الدبلوماسية الإسلامية وقت الأزمات :

لَمّا انْتَهَى إلَى رَسُولِ اللهّ – ﷺ – خبر نقض العهد من قريظة، الْخَبَرُ بَعَثَ رَسُولُ اللهّ – ﷺ –وفدًا دبلوماسيًا إلى ديار بني قريظة لتحري الخبر، ولتجديد العهد، ولتحذيرهم من مغبة نقض العهد أوالتعاون مع العدو المحتل، وكان على رأس هذا الوفد المبارك القيادات الإسلامية الآتية :

١ –سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، سَيّدُ الْأَوْسِ .

٢ –سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، سَيّدُ الْخَزْرَجِ

٣– عَبْدُ اللهّ بْنُ رَوَاحَةَ، الشاعر الإسلامي المعروف

٤ –خَوّاتُ بْنُ جُبَيْرٍ ،من بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ .

فَقَالَ لهم رسول الله : " انْطَلِقُوا حَتّى تَنْظُرُوا ، أَحَقّ مَا بَلَغَنَا عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْ لَا؟

---

١ ابن هشام ٢ / ٢٢٠

فَإِنْ كَانَ حَقّا فَالْحَنُوا لِي لَحْنًا أَعْرِفُهُ، وَلَا تَفُتّوا فِي أَعْضَادِ النّاسِ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى الْوَفَاءِ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَاجْهَرُوا بِهِ لِلنّاسِ "١ .

فَخَرَجُوا حَتّى أَتَوْهُمْ فَوَجَدُوهُمْ عَلَى أَخْبَثِ مَا بَلَغَهُمْ عَنْهُمْ، ورفع الوفد الإسلامي إلى القائد العامﷺ التقرير التالي :

١-نَالُوا مِنْ رَسُولِ اللهّ ﷺ، فسبوه علنًا أمام عناصر الوفد الإسلامي..

٢-نقضوا العهد، بل وأنكروه، وَقَالُوا : مَنْ رَسُولُ اللهّ ؟ لَا عَهْدَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمّدٍ وَلَا عَقْدَ .

فَشَاتَمَهُمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَشَاتَمُوهُ وَكَانَ رَجُلًا فِيهِ حِدّةٌ فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ : دَعْ عَنْك مُشَاتَمَتَهُمْ فَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ أَرْبَى مِنْ الْمُشَاتَمَةِ .

ثُمّ أَقْبَلَ سَعْدٌ وَسَعْدٌ وَمَنْ مَعَهُمَا ، إلَى رَسُولِ اللهّ ﷺ فَسَلّمُوا عَلَيْهِ ثُمّ قَالُوا : عَضَلٌ وَالْقَارّةُ ؛ أَيْ كَغَدْرِ عَضَلٍ وَالْقَارّةِ بِأَصْحَابِ الرّجِيعِ ، خُبَيْبٍ وَأَصْحَابِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهّ ﷺ :

"اللهُ أَكْبَرُ أَبْشِرُوا يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ "!!!٢..

ثالثًا : أهمية الجوائز والناشين :

وطفق الرسول يتابع أخبار بني قريظة من حين إلى آخر بعدما نقضوا العهد، فلا يأمن أن ينقضوا على ضعفاء المسلمين أو أن يعملوا النهب والسلب في المدينة، من خلف المسلمين، وقد عهدهم أهل غدر وخيانة .

فأرسل الزبير يخبره بخبرهم .

وقد قَالَ رَسُولُ اللهّ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ : "مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ ؟ "، يقصد قريظة ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا ثُمَّ قَالَ : "مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ ؟ ".. فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا.. ثُمَّ قَالَ : " مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ ؟ " .. فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا ..

ثُمَّ قَالَ:" إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيَّ وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ"٣ .

وعَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ

---

١ ابن هشام ٢ / ٢٢١

٢ ابن هشام ٢ / ٢٢١

٣ صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب (٣٨٠٤)

obeikandl.com

كُنْتُ يَوْمَ الْأَحْزَابِ جُعِلْتُ أَنَا وَعُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ فِي النِّسَاءِ فَنَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِالزُّبَيْرِ عَلَى فَرَسِهِ يَخْتَلِفُ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا فَلَمَّا رَجَعْتُ قُلْتُ: يَا أَبَتِ رَأَيْتُكَ تَخْتَلِفُ.. قَالَ : أَوَهَلْ رَأَيْتَنِي يَا بُنَيَّ ؟ قُلْتُ: نَعَمْ . قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ :

"مَنْ يَأْتِ بَنِي قُرَيْظَةَ فَيَأْتِينِي بِخَبَرِهِمْ ؟؟ "

فَانْطَلَقْتُ فَلَمَّا رَجَعْتُ جَمَعَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَوَيْهِ فَقَالَ: "فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي "١ !

رابعًا :خطورة انتشار الخوف والنفاق:

هكذا استقبل القائد خبر الخيانة والمحنة بالثبات والمحنة، ليكون قدوة وأسوة في رفع الهمم وتقوية روح المؤمنين ..

لكن سرعان ما انتشر الخبر ..

وَعَظُمَ عِنْدَ ذَلِكَ الْبَلَاءُ، وَاشْتَدّ الْخَوْفُ، وَأَتَاهُمْ عَدُوّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ – حيث جيوش التحالف–، وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ – حيث اليهود الذين خانوا – حَتّى ظَنّ الْمُؤْمِنُونَ كُلّ ظَنّ، وَنَجَمَ النّفَاقُ مِنْ بَعْضِ الْمُنَافِقِينَ، حَتّى قَالَ أحدهم: كَانَ مُحَمّدٌ يَعِدُنَا أَنْ نَأْكُلَ كُنُوزَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ ، وَأَحَدُنَا الْيَوْمَ لَا يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَذْهَبَ إلَى الْغَائِطِ٢ .

وَحَتّى قَالَ أَوْسُ بْنُ قَيْظِيّ المنافق : يَا رَسُولَ اللهّ إنّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ مِنْ الْعَدُوّ – وَذَلِكَ عَنْ مَلَإٍ مِنْ رِجَالِ قَوْمِهِ– فَأْذَنْ لَنَا أَنْ نَخْرُجَ فَنَرْجِعَ إلَى دَارِنَا ، فَإِنّهَا خَارِجٌ مِنْ الْمَدِينَةِ ، وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارًا ٣.

ويتكفل القرآن الكريم بتصوير حال الدولة الإسلامية من خصومها بكل دقة، فيقول الله تعالى :

﴿إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِّ الظُّنُونَا{١٠} هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً{١١} وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللهُّ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً{١٢} وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً{١٣} وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا

---

١ صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب (٣٤٤٢)

٢ ابن هشام – ٢ / ٢٢٢

٣ ابن هشام – ٢ / ٢٢٢

ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيراً{١٤} وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَّ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللهَّ مَسْؤُولاً{١٥} قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذاً لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً{١٦} قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللهَّ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللهَّ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً{١٧} قَدْ يَعْلَمُ اللهُّ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً{١٨} أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُّ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهَّ يَسِيراً{١٩} يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلاً{٢٠}﴾[الأحزاب: ١٠ ٢٠].

خامسًا : محاولة النبي تخفيف حدة الحصار بعقد صلح مع غطفان :

فَلَمّا اشْتَدّ عَلَى الدولة الحصار والْبَلَاءُ بَعَثَ رَسُولُ اللهّ ﷺإِلَى عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ ، وَإِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَوْفٍ، وَهُمَا قَائِدَا غَطَفَانَ ، فتفاوض معهما على على عودة غطفان إلى ديارها وترك حصار المدينة والتخذيل بين جيوش التحالف، مقابل ان يمنحه رسول الله ف ثُلُثَ ثِمَارِ الْمَدِينَةِ، فَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمَا الصّلْحُ، وأحضرت الصحيفة والدواة ليكتب عثمان بن عفان رضي الله عنه الصلح١، وَلَمْ تَقَعْ الشّهَادَةُ وَلَا عَزِيمَةُ الصّلْحِ، إلّا الْمُرَاوَضَةُ فِي ذَلِكَ . فَلَمّا أَرَادَ رَسُولُ اللهّ ﷺأَنْ يَفْعَلَ بَعَثَ إلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُمَا ، وَاسْتَشَارَهُمَا فِيهِ٢..

فَقَالَا لَهُ: يَا رَسُولَ اللهّ .. أَمْرًا نُحِبّهُ فَنَصْنَعُهُ ؟ أَمْ شَيْئًا أَمَرَك اللهُّ بِهِ لَا بُدّ لَنَا مِنْ الْعَمَلِ بِهِ؟ أَمْ شَيْئًا تَصْنَعُهُ لَنَا ؟

قَالَ : "بَلْ شَيْءٌ أَصْنَعُهُ لَكُمْ ، وَاَللهّ مَا أَصْنَعُ ذَلِكَ إلّا لِأَنّنِي رَأَيْت الْعَرَبَ قَدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ وَكَالَبُوكُمْ مِنْ كُلّ جَانِبٍ، فَأَرَدْت أَنْ أَكْسِرَ عَنْكُمْ مِنْ شَوْكَتِهِمْ إلَى أَمْرٍ مَا"..

فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ : يَا رَسُولَ اللهّ ، قَدْ كُنّا نَحْنُ وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَى الشّرْكِ بِاَللهّ

---

١ الحلبي ٢/ ٦٢٨

٢ ابن هشام ٢ / ٢٢٣

وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ لَا نَعْبُدُ اللهَ وَلَا نَعْرِفُهُ، وَهُمْ لَا يَطْمَعُونَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهَا تَمْرَةً إِلّا قِرًى أَوْ بَيْعًا، أَفَحِينَ أَكْرَمْنَا اللهُ بِالْإِسْلَامِ وَهَدَانَا لَهُ وَأَعَزّنَا بِك وَبِهِ، نُعْطِيهِمْ أَمْوَالَنَا ؟ ! وَاللهِ، مَا لَنَا بِهَذَا مِنْ حَاجَةٍ، وَاللهِ لَا نُعْطِيهِمْ إِلّا السّيْفَ، حَتّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ !!

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" فَأَنْتَ وَذَاكَ " .

فَتَنَاوَلَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الوثيقة فَمَحَا مَا فِيهَا مِنْ الْكِتَابِ، ثُمّ قَالَ: لِيَجْهَدُوا عَلَيْنَا١ .

المطلب الخامس:"الحرب خدعة"٢

أولاً : حركة (نُعَيْمٍ) فِي تفريق جيش التحالف:

في ظل هذه الظروف الشديدة القاسية، يأتي الرزق والنصر من حيث لا يحتسب المتقون ..

فقد أسلم نُعَيْمَ بْنَ مَسْعُودِ أحد زعماء غَطَفَانَ !!

كانوا بالأمس يفاوضهم رسول الله على الرجوع إلى ديارهم فيرفضون إلا الرجوع بنصف ثمار المدنية .. !

والآن ساقهم الله إلى القائد الإسلامي من غير عناء ولا تفاوض ولا كلفة ..

فأَتَى نُعَيْم رَسُولَ اللهِّ- ﷺ – فَقَالَ:

يَا رَسُولَ اللهِّ إِنّي قَدْ أَسْلَمْت ، وَإِنّ قَوْمِي لَمْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي ، فَمُرْنِي بِمَا شِئْتّ!

فَقَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ :

"إِنّمَا أَنْت فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ ، فَخَذّلْ عَنّا إِنْ اسْتَطَعْت ، فَإِنّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ " .

فَخَرَجَ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ حَتّى أَتَى بَنِي قُرَيْظَةَ ، وَكَانَ لَهُمْ نَدِيمًا فِي الْجَاهِلِيّةِ فَقَالَ: يَا بَنِي قُرَيْظَةَ قَدْ عَرَفْتُمْ وُدّي إِيّاكُمْ وَخَاصّةً مَا بَيْنِي وَبَيْنكُمْ ..

قَالُوا : صَدَقْت ، لَسْت عِنْدَنَا بِمُتّهَمٍ .

فَقَالَ لَهُمْ: إِنّ قُرَيْشًا وَغَطَفَانَ لَيْسُوا كَأَنْتُمْ، الْبَلَدُ بَلَدُكُمْ فِيهِ أَمْوَالُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ تَحَوّلُوا مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ ، وَإِنّ قُرَيْشًا وَغَطَفَانَ قَدْ جَاءُوا لِحَرْبِ مُحَمّدٍ وَأَصْحَابِهِ وَقَدْ ظَاهَرْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ وَبَلَدُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ بِغَيْرِهِ فَلَيْسُوا كَأَنْتُمْ فَإِنْ

---

١ ابن هشام ٢ / ٢٢٣

٢ صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الحرب خدعة(٢٨٠٥)

رَأَوْا نُهْزَةً أَصَابُوهَا ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ لَحِقُوا بِبِلَادِهِمْ وَخَلّوْا بَيْنكُمْ وبين محمد.. فَلَا تُقَاتِلُوا مَعَ الْقَوْمِ حَتّى تَأْخُذُوا مِنْهُمْ رَهْنًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ يَكُونُونَ بِأَيْدِيكُمْ ثِقَةً لَكُمْ، عَلَى أَنْ تُقَاتِلُوا مَعَهُمْ مُحَمّدًا حَتّى تُنَاجِزُوهُ.

. فَقَالُوا لَهُ: لَقَدْ أَشَرْت بِالرّأْيِ . .

ثُمّ خَرَجَ حَتّى أَتَى قُرَيْشًا ، فَقَالَ لِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ رِجَالِ قُرَيْشٍ : قَدْ عَرَفْتُمْ وُدّي لَكُمْ وَفِرَاقِي مُحَمّدًا ، وَإِنّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَمْرٌ قَدْ رَأَيْت عَلَيّ حَقّا أَنْ أُبْلِغَكُمُوهُ نُصْحًا لَكُمْ فَاكْتُمُوا عَنّي ..

فَقَالُوا : نَفْعَلُ .

قَالَ تَعْلَمُوا أَنّ مَعْشَرَ يَهُودَ قَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُحَمّدٍ، وَقَدْ أَرْسَلُوا إلَيْهِ إنّا قَدْ نَدِمْنَا عَلَى مَا فَعَلْنَا ، ، فَهَلْ يُرْضِيك أَنْ نَأْخُذَ لَك مِنْ الْقَبِيلَتَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ رِجَالًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَنُعْطِيكَهُمْ فَتَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ ثُمّ نَكُونُ مَعَك عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ حَتّى نَسْتَأْصِلَهُمْ ؟ فَأَرْسَلَ إلَيْهِمْ أَنْ نَعَمْ . فَإِنْ بَعَثَتْ إلَيْكُمْ يَهُودُ يَلْتَمِسُونَ مِنْكُمْ رَهْنًا مِنْ رِجَالِكُمْ فَلَا تَدْفَعُوا إلَيْهِمْ مِنْكُمْ رَجُلًا وَاحِدًا.

ثُمّ خَرَجَ حَتّى أَتَى غَطَفَانَ ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ غَطَفَانَ ، إنّكُمْ أَصْلِي وَعَشِيرَتِي ، وَأَحَبّ النّاسِ إلَيّ وَلَا أَرَاكُمْ تَتّهِمُونِي ..

قَالُوا : صَدَقْت ، مَا أَنْتَ عِنْدَنَا بِمُتّهَمٍ .

قَالَ : فَاكْتُمُوا عَنّي ؛ قَالُوا : نَفْعَلُ فَمَا أَمْرُك ؟

ثُمّ قَالَ لَهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ لِقُرَيْشٍ وَحَذّرَهُمْ مَا حَذّرَهُمْ[1] .

فانخذلت جيوش التحالف، ودبت الفرقة والشكوك بينهم ..

فضعفت جيوش التحالف ..

وبعث الله الريح والملائكة عليهم فزاد ضعفهم، وزادت رغبتهم في الرحيل ..

وفي ذلك يقول الله تعالى :

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهَّ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُّ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾ [الأحزاب : ٩].

---

١ ابن هشام ٢ / ٢٢٨

ثانيًا : تحرّي انصراف الأحزاب :

فَلَمّا انْتَهَى إلَى رَسُولِ اللهّ ﷺ مَا اخْتَلَفَ مِنْ أَمْرِهِمْ ،وَمَا فَـرّقَ اللهُ مِـنْ جَمَـاعَتِهِمْ دَعَـا حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ ، فَبَعَثَهُ إلَيْهِمْ لِيَنْظُرَ مَا فَعَلَ الْقَوْمُ لَيْلًا . فما قام أحد!!

قَالَ حُذَيْفَةُ : وَاَللهّ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهّ ﷺبِالْخَنْدَقِ وَصَلّى رَسُولُ اللهّ ﷺهُوِيّا مِنْ اللّيْلِ ثُمّ الْتَفَتَ إلَيْنَا فَقَالَ : "مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ ثُـمّ يَرْجِـعُ، أَسْـأَلُ اللهّ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنّةِ ؟" .. فَمَا قَامَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ ، مِنْ شِدّةِ الْخَوْفِ وَشِدّةِ الْجُوعِ وَشِدّةِ الْبَرْدِ ..!

فَلَمّا لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ ، دَعَانِي رَسُولُ اللهّ ﷺفَلَمْ يَكُنْ لِي بُدّ مِنْ الْقِيَامِ حِينَ دَعَانِي ؛ فَقَالَ: "يَا حُذَيْفَةُ اذْهَبْ فَادْخُلْ فِي الْقَـوْمِ ، فَـانْظُرْ مَـاذَا يَـصْنَعُونَ وَلَا تُحْـدِثَنّ شَـيْئًا حَتّـى تَأْتِيَنَا." .

قَالَ : فَذَهَبْت فَدَخَلْت فِي الْقَوْمِ وَالرّيحُ وَجُنُودُ اللهّ تَفْعَلُ بِهِـمْ مَـا تَفْعَـلُ لَا تُقِـرّ لَهُـمْ قِدْرًا وَلَا نَارًا وَلَا بِنَاءً . فَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ : لِيَنْظُرْ امْرُؤٌ مَـنْ جَلِيـسُهُ ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ فَأَخَذْت بِيَدِ الرّجُلِ الّذِي كَانَ إلَى جَنْبِي ، فَقُلْت : مَنْ أَنْتَ ؟ قَـالَ : فُـلَانُ بْـنُ فُلَانٍ!

ثُمّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إنّكُمْ وَاَللهّ مَـا أَصْـبَحْتُمْ بِـدَارِ مُقَـامٍ لَقَـدْ هَلَـكَ الْكُرَاعُ وَالْخُفّ ، وَأَخْلَفَتْنَا بَنُو قُرَيْظَةَ ، وَبَلَغَنَا عَنْهُمْ الّذِي نَكْرَهُ وَلَقِينَا مِنْ شِـدّةِ الـرّيحِ مَـا تَرَوْنَ مَا تَطْمَئِنّ لَنَا قِدْرٌ وَلَا تَقُومُ لَنَا نَارٌ وَلَا يَسْتَمْسِكُ لَنَا بِنَاءٌ، فَارْتَحِلُوا فَـإِنّي مُرْتَحِـلٌ، ثُـمّ قَامَ إلَى جَمَلِهِ وَهُوَ مَعْقُولٌ فَجَلَسَ عَلَيْهِ ثُمّ ضَرَبَهُ فَوَثَبَ بِهِ عَلَى ثَلَاثٍ، فَوَاَللهّ مَا أَطْلَقَ عِقَالَـهُ إلّا وَهُوَ قَائِمٌ، وَلَوْلَا عَهْدُ رَسُولِ اللهّ ﷺإلَيّ " أَنْ لَا تُحْدِثَ شَيْئًا حَتّى تَأْتِيَنِي " لَقَتَلْته بِسَهْمِ .

ورَجَعْتُ إلَى رَسُولِ اللهّ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلّي فِي مِرْطٍ لِبَعْضِ نِسَائِهِ مَرَاجِلُ . فَلَـمّا رَآنِي أَدْخَلَنِي إلَى رِجْلَيْهِ وَطَرَحَ عَلَيّ طَرَفَ الْمِرْطِ ثُمّ رَكَعَ وَسَـجَدَ وَإِنّي لِفِيـهِ فَلَـمّا سَـلّمَ أَخْبَرْتـه الْخَبَرَ، وَسَمِعَتْ غَطَفَانُ بِمَا فَعَلَتْ قُرَيْشٌ ، فَانْشَمَرُوا رَاجِعِينَ إلَى بِلَادِهِمْ١ .

ثالثًا : إعلان بداية الحرب الاستباقية :

فعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ قَالَ

---

١ ابن هشام ٢ / ٢٣٢، ٢٣٢،٢٣٣ ، مسند أحمد (٢٣٣٨٢)

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ حينَ أَجْلَى الْأَحْزَابَ عَنْهُ- : " الْآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِم"١ .

المطلب السادس : شكر الله على جلاء الاحتلال والحصار:

لما أكثر القائد العام ﷺمن الدعاء والابتهال والتضرع إلى الله .. أتاه جبريل عليه السلام فبشره أن الله يرسل عليهم ريحاً وجنوداً، وأعلم رسول الله ﷺأصحابه بذلك وصار يرفع يديه قائلاً :

" شكراً ! شكراً !!"٢.

فلما أكرم الله المسلمين بجلاء الأحزاب، أخذ رسول الله يردد مرارًا :

" لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ أَعَزَّ جُنْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَغَلَبَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ"٣.

المطلب السابع : عناية القائد بالجرحى والمصابين :

فقد أشرف النَّبِيَّ ﷺ بنفسه على متابعة الحالة الصحية، لجرحى المعركة، فكَوَى سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- بِمِشْقَصٍ حِينَ رُمِيَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ فَقُطِعَ أَكْحَلُهُ٤ .

ودَعَا سعد وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْت أَبْقَيْت مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئًا فَأَبْقِنِي لِذَلِكَ ، فَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إلَيَّ مِنْ قِتَالِ قَوْمٍ أَخْرَجُوا رَسُولَك مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ ، وَإِنْ لَمْ تُبْقِ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَاجْعَلْ هَذَا سَبَبَ شَهَادَتِي ، وَلَا تُمِتْنِي حَتَّى تُقِرَّ عَيْنِي فِي بَنِي قُرَيْظَةَ .

فَلَمَّا دَعَا بِذَلِكَ رَقَأَ الدَّمُ .

وَإِنَّمَا تَكَلَّمَ بِهَذَا الدُّعَاءِ ؛ للخيانة التي بدرت منهم في أحلك الظروف والحصار.. ونقضهم العهد، وعمالتهم الصريحة للمحتل الغاصب٥ ..

وَرُوِيَ أَنَّ النبي ﷺ كَوَى أَسْعَدَ بْنَ زُرَارَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ٦ .

---

١ صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب (٣٨٠١)

٢ الحلبي ٢/ ٦٢٨

٣ صحيح البخاري ، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب (٣٨٠٥)

٤ السرخسي: شرح السير الكبير١ / ١٣٨

٥ السرخسي : شرح السير الكبير ٢ / ١٧١

٦ السرخسي :شرح السير الكبير ١ / ١٣٨

المبحث الثالث
محاكمة بني قينقاع وإنزال العقاب بهم

الأربعاء ٧ من ذي القعدة ٥ هـ١

المطلب الأول : نزول جبريل في شأن قريظة :

لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ الْخَنْدَقِ وَوَضَعَ السِّلاحَ وَاغْتَسَلَ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام فَقَالَ: قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ ؟ ! وَاللهِّ مَا وَضَعْنَاهُ !فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ! قَالَ: " فَإِلَى أَيْنَ ؟" قَالَ: هَا هُنَا، وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ٢ .

وقال: إن الله يأمرك أن تسير إلى بني قريظة فإني عامد إليهم فمزلزل بهم حصونهم. فدعا رسول الله ﷺ عليًا- رضي الله عنه فدفع إليه لواءه وبعث بلالاً فنادى في الناس٣ ..

فقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ- لهم - :

"لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ " .. فَأَدْرَكَ بَعْضَهُمْ الْعَصْرُ فِي الطَّرِيقِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ نُصَلِّي لَمْ يُرَدْ مِنَّا ذَلِكَ فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ٤ .

المطلب الثاني : تحرك الجيش الإسلامي إلى قريظة :

قال أَنَسٍ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ :

كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْغُبَارِ سَاطِعًا فِي زُقَاقِ بَنِي غَنْمٍ مَوْكِبَ جِبْرِيلَ -صَلَوَاتُ اللهِّ عَلَيْهِ - حِينَ سَارَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ"٥ .

واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة عبد الله بن أم مكتوم و سار إليهم في المسلمين وهم ثلاثة آلاف، والخيل ستة وثلاثون فرسًا، فحاصرهم خمسة عشر يومًا أشد الحصار، ورموا بالنبل فانجحروا فلم يطلع منهم أحد، فلما اشتد عليهم الحصار أرسلوا إلى رسول

---

١ ابن سعد ٢ / ٧٤

٢ صحيح البخاري ، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم (٣٨٠٨)

٣ ابن سعد ٢ / ٧٤

٤ صحيح البخاري ، كتاب الجمعة، باب صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء (٨٩٤)

٥ صحيح البخاري ، ، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم (٣٨٠٨) (٣٨٠٩)

obeikandl.com

الله- ﷺ-: أرسل إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر. فأرسله إليهم فشاوروه في أمرهم فأشار إليهم بيده أنه الذبح ثم ندم فاسترجع وقال: خنت الله ورسوله! فانصرف فارتبط في المسجد ولم يأت رسول اللهﷺ حتى أنزل الله توبته، ثم نزلوا على حكم رسول الله١. فوكل أمرهم إلى سعد بن معاذ حليفهم . وارتضت قريظة به حكما ..

المطلب الثالث : توقير القيادات الإسلامية :

لَمَّا نَزَلَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدٍ، بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ، فَجَاءَ عَلَى حِمَارٍ فَلَمَّا دَنَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ".. فَجَاءَ فَجَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ : "إِنَّ هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ "٢ ..

المطلب الرابع : الإعدام جزاء الخيانة العظمى :

قَالَ سعد: " فَإِنِّي أَحْكُمُ أَنْ تُقْتَلَ الْمُقَاتِلَةُ وَأَنْ تُسْبَى الذُّرِّيَّةُ " .

قَالَ:" لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ الْمَلِكِ"٣ .

قال عطية القرظي :عرضنا على رسول الله ﷺ يوم قريظة فكان من أنبت قُتل ومن لم ينبت خلي سبيله فكنت فيمن لم ينبت فخلي سبيلي٤.

المطلب الخامس : عدم جواز قتل نساء العدو إلا من حاربت :

عن عائشة قالت :لم يقتل من نسائهم تعني بني قريظة إلا امرأة إنها لعندي تحدث تضحك ظهرًا وبطنًا، ورسول الله ﷺيقتل رجالهم بالسيوف إذ هتف هاتف باسمها أين فلانة ، قالت : أنا قلت وما شأنك؟ قالت : حدث أحدثته .. قالت : فانطلق بها فضربت عنقها فما أنسى عجبًا منها أنها تضحك ظهرا وبطنا وقد علمت أنها تقتل٥ .

المطلب السادس :تحليل مهم حول القتل الجماعي لبني قريظة :

معروف لدى كتب التاريخ أن يهود قريظة كانوا فصيل من فصائل المدينة المنورة.

---

١ ابن سعد ٢ / ٧٤

٢ صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب إذا نزل العدو على حكم رجل (٢٨١٦)

٣ صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب إذا نزل العدو على حكم رجل (٢٨١٦)

٤ سنن ابن ماجه، كتاب الحدود، باب من لا يجب عليه الحد (٢٥٤١) وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجة والمشكاة (٣٩٧٤)

٥ سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في قتل النساء (٢٦٧١)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود

ومعروف أنه بمجرد قدوم النبي ﷺ المدينة عقد بينه وبين اليهود الموجودين بها معاهدة تنظم الشأن العام الداخلي والخارجي للمدينة. وكان من بنود هذه المعاهدة:

١- التزام كل أبناء المدينة بما فيهم المسلمين واليهود بالمعايشة السلمية فيما بينهما وعدم اعتداء أي فريق منهما على الآخر .

٢- الدفاع المشترك عن المدينة ضد أي اعتداء خارجي على المدينة .

وحدث في في العام الخامس الهجري .. أن مر المسلمون بظروف قاسية عندما تجمعت أكبر قوة معادية للمسلمين في ذلك الوقت للقضاء عليهم داخل المدينة، وأحاطت جيوش التحالف المشركة بالمدينة في عشرة آلاف مقاتل، من مشركي قريش وأشجع وغطفان وبني سليم وأسد وفزارة .. على حين لم يزد عدد المسلمين على ثلاثة آلاف مقاتل، وكان المتوقع أن ينضم يهود بني قريظة إلى صفوف المسلمين ضد القوات المحتلة لحدود المدينة، بناء على نصوص المعاهدة المبرمة بين الفريقين.. لكن الذي حدث هو عكس هذا، فقد فوجئ المسلمون ببني قريظة يخونهم في أخطر أوقات محنتهم، ولم يرعوا للجوار حقاً، ولا للعهود حرمة، بل كانوا يسعون من وراء انضمامهم هذا إلى صفوف القوات الغازية التعجيل بالقضاء على المسلمين ودولتهم الناشئة !

لقد أحدثت هذه الخيانة زلزالاً عنيفًا في نفوس المسلمين، وجرحًا عميقًا في وجدانهم، لا سيما بعد إعلان قريظة – جهارًا نهارًا - الانضمام إلى صفوف الغزاة .. لدرجة أن الرسول ﷺ حرص أول الأمر على كتمان الخبر على الشعب لما كان يخشى من وقعه على نفوس الجنود. وبمجرد أن انتهى إلى سمعه ﷺ النبأ أرسل وفداً دبلوماسيًا مكوناً من القادة الأفاضل سعد بن معاذ(قائد الأوس)، وسعد بن عبادة (قائد الخزرج)، وعبد الله بن رواحة، وخوات بن جبير- رضوان الله تعالى عليهم - ليذّكروا القوم بما بينهم وبين المسلمين من عقود وعهود، ويحذروهم مغبة ما هم مقدمون عليه، ولكن دون جدوى!

وبعد أن ولى المشركون المحتلون وحلفاؤهم الأدبار، يحملون معهم الهزيمة والإخفاق، وفشلت محاولاتهم لاقتحام المدينة المنيعة . رجع المقاتلون المسلمون إلى بيوتهم بالمدينة يستريحون من هذه الغمة، ويلتقطون أنفاسهم بعد فزع وقلق نفسي مريع دام شهرًا كاملاً.

ويبدو أن بعض الصحابة ظن أن الموضوع انتهى إلى ذلك الحد ! لكن أيترك الخائنون العملاء الناكثون للعهود دون محاسبة ؟ فنادى النبي ﷺ في المسلمين "ألا .. لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة !"١، فسار الجيش الإسلامي إلى فصيل الفتنة والخيانة، وتبعهم النبي ﷺ – القائد العام – بعد أن استخلف على المدينة – نائبًا عنه –عبد الله بن أم مكتوم، وحاصر المسلمون بني قريظة شهراً تقريبًا، ولما طال عليهم الحصار.. ورفض النبي ﷺ إلا أن يستسلموا دون قيد أو شرط، واستسلم بنو قريظة، ونزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فوكل ﷺ الحكم فيهم إلى سعد بن معاذ– قائد الأوس – .. وفي اختيار سعد دلالة على حكمة النبي ﷺ وبُعد نظره، وإدراكه لنفسيات يهود قريظة ، لأن سعدًا كان حليف بني قريظة في الجاهلية، وقد ارتاح اليهود لهذا الاختيار، وظنوا أن الرجل قد يحابيهم في حكمه، لكن سعداً نظر إلى الموقف من جميع جوانبه. وقدره تقدير من عاش أحداثه وظروفه.

وبعد أن أخذ سعد ﷺ المواثيق على الطرفين أن يرضى كل منهما بحكمه. أعلن حكمه بالإعدام على الخونة، قائلاً: "فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ يُقْتَلَ الرِّجَالُ وَتُسْبَى الذِّرِّيَّةُ وَتُقْسَمَ الأَمْوَالُ "، فقال رسول الله ﷺمؤيدًا هذا الحكم : " لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللهِّ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ "٢ ..

فسيقوا إلى خنادق في المدينة، فُقتل رجالهم وُسبي نساؤهم وذراريهم. ولاقى بنو قريظة هذا المصير على هذه الخيانة.

وهنا يحلو للبعض أن يتطاولوا على تصرف النبي ﷺ ومعاملته لبني قريظة، ويعتبروا أن الإعدام الجماعي الذي تم لهؤلاء الناس يتسم بالقسوة والوحشية والإجرام... الخ ..

ونرد على مثل هذه الآراء ونقول :

أولاً: ماذا لو أن نتيجة غزوة الأحزاب تمت حسبمًا كان يخطط لها بنو قريظة وأحزابهم؟ ألم تكن هي الإبادة التامة للمسلمين أجمعين. على أن اليهود لم يقدِموا على هذا العمل الخسيس إلا بعد أن تكون لديهم ما يشبه اليقين بأنهم– بمساعدة المشركين– سوف

---

١ انظر: ابن سيد الناس ٢\٥٠

٢ ابن القيم : زاد المعاد ٣/ ١١٧، و ابن سيد الناس ٢/ ٥٤، وابن هشام ٢/ ٢٤٠

يقومون بتدمير الكيان الإسلامي تدميراً كاملاً، واستئصال شأفة المسلمين استئصالاً كلياً – كما ورد في كتبهم إذا ظهروا على شعب من الشعوب – ولهذا لم يترددوا في الغدر بحلفائهم المسلمين وعلى تلك الصورة البشعة١.

لقد جاء في سفر التثنية : "حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها للصلح، فإن أجابتك وفتحت لك؛ فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك، وإن لم تسالمك.. بل عملت معك حرباً فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك "٢ .

ويعلق "مولانا محمد علي"، على هذا النص بقوله: "وهكذا حكم سعد وفقًا للشريعة الموسوية بقتل ذكور بني قريظة وبسبي نسائهم وأطفالهم وبمصادرة ممتلكاتهم.. ومهما بدت هذه العقوبة قاسية، فقد كانت على درجة الضبط للعقوبة التي كان اليهود ينزلونها- تبعاً لتشريع كتابهم- بالمغلوبين من أعدائهم، فأي اعتراض على قسوة هذه العقوبة هو في الواقع انتقاد لا شعوري للشريعة الموسوية، وتسليم بأن شريعة أكثر إنسانية يجب أن تحل محلها، وأيما مقارنة بالشريعة الإسلامية في هذا الصدد خليق بها أن تكشف- في وضوح بالغ- أي قانون رفيق عطوف رحيم قدمه الإسلام إلى الناس"٣.

ثانياً: أن اليهود – لا سيما يهود قريظة – لم يلقوا من المسلمين طيلة السنوات التي تلت المعاهدة إلا كل بر ووفاء، ومعاملة حسنة طيبة، كما شهدوا أنفسهم بذلك، فعندما ذهب حيي بن أخطب – أكبر زعماء اليهود – إلى كعب بن أسد القرظي زعيم قريظة يغريه بنقض العهد مع النبي ﷺ قال: " وَيْحَك يَا حُيَيّ !! فَدَعْنِي وَمَا أَنَا عَلَيْهِ، فَإِنّي لَمْ أَرَ مِنْ مُحَمّدٍ إلّا صِدْقًا وَوَفَاءً" ٤.. لكنه لم يزل به حتى أقنعه بالخيانة ونقض العهد.

ثالثًا : أن قانون أي دولة الآن يحكم بالإعدام على من يخون وطنه ويقيم اتصالات مع العدو أو يتجسس لحسابه، و لو درس الذين يطعنون في حكم سعد على بني قريظة

---

١ انظر: جمعة علي الخولي: معاملة الرسول ﷺ لبني قريظة، والرد على ما يثار حولها من شبهات، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد ٥٧،

٢ سفر التثنية – الإصحاح العشرون ١٠: ١٨.

٣ مولانا محمد علي : حياة محمد ورسالته ص ١٧٥

٤ السهيلي ٣/ ٤٢٢، ابن سيد الناس ١٢\ ٣٨، وابن كثير : البداية والنهاية ٤/ ١٠٣

القوانين المعاصرة دراسة نافذة وطبقوها على قضية بني قريظة لرأوا أن قوانين العصر الحديث والدول المتقدمة لا تختلف في شيء عما أصدره سعد بن معاذ١..

فيهود قريظة خانوا العقد، وتآمروا وانضموا إلى أعداء الدولة الإسلامية وأوقعوا المسلمين بين شقي الرحى في المدينة مكتوين بنار المشركين من جهة واعتداء اليهود في ساعة المحنة من جهة ثانية فاقترفوا بذلك الغدر أربع جرائم:

أ - رفع السلاح ضد سلطان المدينة مع الأجنبي المعتدي المحتل.

ب - تسهيل دخول العدو للبلاد .

ج - التجسس لصالح تحالف المشركين.

د- دس الفتن والمشاركة في الحرب الإعلامية النفسية على الشعب المسلم.

إذا هو (القصاص العادل)٢ الذي أصاب بني قريظة على خيانتهم ..

ومعظم قوانين العقوبات العصرية تجعل الإعدام عقوبة كل جريمة من الجرائم الأربع، وتسمى أي جريمة من هذه الجرائم باسم الخيانة العظمى!

رابعًا : قد يقال: كان من الممكن أن يعامل النبي ﷺ يهود بني قريظة كما يعامل القائد المنتصر رجال جيش عدوه الذي انهزم أمامه واستسلم، أو يعاملهم كما عامل يهود بني النضير وبني قينقاع.. والجواب على ذلك أن بني قريظة لم يكونوا أسرى حرب حتى يميل بهم إلى الشفقة، ولم يكونوا في حالة حرب مع المسلمين، وإنما كانوا جيرانا متحالفين يشكلون مع المسلمين وحدة وطنية ملزمة بالدفاع المشترك عن المدينة ضد أي عدوان، لكنهم ظهروا أخطر من الأعداء، إذ يبيتون لأناس يأمنونهم ويخصونهم بحقوق الجار، وواجبات الذمام، فكانوا بمثابة الخائن المتآمر المتواطئ مع العدو على أمته ووطنه في حالة الحرب القائمة وهذه خيانة عظمى ليس لها في جميع الشرائع إلا الإعدام السريع.. وموقفهم هنا يختلف اختلافًا واضحًا عن موقف بني قينقاع وبني النضير، فالأولون قد أبدوا البغضاء من أفواههم وأشاعوا الرعب والشكوك ورأوا في الدعاية المغرضة سلاحًا لا يفل.. وبنوا النضير ائتمروا على قتل الرسول ﷺ، وتحالفوا مع بعض المنافقين على المناجزة دون أن تتيح لهم الفرصة طريقًا يصلون منه إلى التنفيذ، وهؤلاء وأولئك أهون

---

١ انظر: محمد رجب البيومي ، مجلة الحج العدد ١٢ السنة ٨٨.

٢ محمود شيت خطاب ٢٥٩

خطًا من الذين سلوا السيوف ووقفوا في صفوف العدو وأوقعوا الهلع في قلوب يحيط بها الروع من كل ناحية، فتعادل الكفتين بينهما طيش لا يقره إنصاف١ .

* * *

١ انظر: جمعة علي الخولي: معاملة الرسول ﷺ لبني قريظة، والرد على ما يثار حولها من شبهات، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد ٥٧، وانظر: محمد رجب البيومي، مجلة الحج العدد ١٢ السنة ٨٨.

obeikandl.com